" مسألة السكان و الرهانات الاستعمارية الفرنسية داخل عمالة وهران"
أ. زايدي عزالدين، – جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس -

تمهيـد

بفعل التشريعات الفرنسية المختلفة، أضحى المجتمع الجزائري يعيش حالة يأس متواصلة داخل سياج القوانين التي وضعتها الإدارة الاستعمارية، خاصة و أن هذه القوانين قد وضعت لمراقبة كل تصرفات و تحركات الجزائريين، و من ثم معاقبتهم على أدنى فعل يرتكبوه. و إذا أضفنا إلى ذلك، أن غالبية هؤلاء الجزائريين الذين كانوا ضمن تعداد الفئة النشطة هم من العمال الزراعيين و الفلاحين الذين لا يملكون شيئا، فنقول أن هذا المجتمع واجه ظروفا قاسية بفعل نشوب الحرب العالمية الثانية و ما صاحبها من تغيرات في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

اعتبر الاستعمار مسألة السكان الأصليين في الجزائر مسألة مؤقتة، لأنه كان متيقنا من نجاحه في فرض نموذجه الاجتماعي على الجزائريين و إذابتهم داخل هذا التنظيم الجديد. غير أن ذلك لم يتحقق ما دام أن مصير هؤلاء الجزائريين كان هو محور المسألة الاستعمارية، و لا يمكن بأي حال من الأحوال، غض الطرف عن ملايين الجزائريين و التفكير في إيجاد تنظيمات سياسية كانت أو إدارية أو اجتماعية، مركزية أم جهوية، للتحكم في مصيرهم دون التفكير في الحلول الحقيقية للمسألة الجزائرية.

قامت الإدارة الاستعمارية في الجزائر بتطبيق سياسة التمييز العرقي و الاجتماعي في حق الجزائريين على أسس إدارية، فلجأت إلى تجميع الأغلبية الساحقة منهم فيما عرف بالدواوير، داخل البلديات المختلطة، التي شكلت القاعدة الأولى و الأساسية للتنظيم الاجتماعي الجديد للجزائريين داخل النظام الإداري الفرنسي، مدعية أنه ظرف مؤقت و سوف يتغير مع مرور الزمن. فكان تقسيمها لشمال البلاد مؤشرا لسياسة التجزئة التي حاول الاستعمار انتهاجها في الجزائر حتى يتسنى له تفرقة الجزائريين عن بعضهم البعض و من ثم السيطرة عليهم و التحكم في تسييرهم وفق المصالح الاستعمارية التي كانت ترى في هذه التجزئة فرصة لتوطين أعداد كبيرة من الكولون في الجزائر.

أولا: الرهـان الديمغرافي هاجـس الاستعمـار الفرنسي

إن دراسة عملية التطور الديمغرافي في الجزائر ليس بالأمر الهين، لما تقتضيه المهمة من إحصائيات دقيقة، و بالتالي، كما ذكر ذلك "أجرون"، فقد بقيت نفس أسباب الأخطاء المرتكبة في عمليات الإحصاء السابقة، سارية المفعول، إلى غاية مطلع الخمسينات. و قدم أيضا، "جون سيرا" Jean Serra دراسة مفصلة في الموضوع عندما حدد البنية الديمغرافية الجزائرية في تسعة-9- لوائح.(1) هناك أسباب أخرى منها؛ الصعوبات المادية لعمليات الإحصاء، و الأخطاء المرتكبة من طرف السكان عند الإدلاء بتصريحاتهم، يضاف إليها استعمال الحيل عند تقديم

الأجوبة و التصريحات في فترات الحروب و عند الشروع في عمليات التقنين للمواد الغذائية.

الواقع أن مسألة السكان و عددهم، مسألة في غاية الأهمية في موضوعنا، لما كان لها من انعكاسات على الطرفين، الجزائري و الاستعماري. هذا ما تظهره كثافة الدراسات السكانية التي قام بها عدد من المؤرخين،(2) و عمليات الإحصاء الرسمية التي قامت بها الإدارة الاستعمارية في الجزائر طوال وجودها، حيث قدرت بإحدى و عشرون عملية إحصاء. و أول عملية إحصاء اهتمت بالأحوال الاجتماعية للسكان الجزائريين تمت سنة 1921 حيث اهتمت السلطة الاستعمارية بالشغل و قطاعات الحرف نظرا لأن مصلحتها كانت تقتضي ذلك. أما دراسة التركيبة النوعية و فئات الأعمار فظهرت مع إحصاء سنة 1936.(3)

إن إدراك الظاهرة الديمغرافية في المجتمع الجزائري لا يعبر عنها إلا بالدراسة التي قام بها "جون سيرا" و بالتقرير الذي أعده "كزاني" Cazagne بعد حوادث مدينة قسنطينة، عندما أطلق هذه العبارة القاتلة: "على مر مختلف الأزمات الجزائرية، و عندما لم يكن عدد الأهالي سوى أربعة ملايين، مثلت الجزائر عبئا على فرنسا. و أما اليوم، و هي في تعداد ثمانية ملايين، فقد أصبحت قنبلة..."(4)

غير أن الاهتمام بالدراسات الديمغرافية الحقيقية لم يظهر إلا مع مطلع الخمسينات. بيد أن ذلك لم يكشف عن بعض الحقائق المتعلقة بالفترات السابقة، التي لم تدل بكل أسرارها فيما يتعلق بالفحص عن بعض أرقام الإحصائيات، خاصة منها إحصائيات سنوات 1931 و 1936 التي تبقى محل انتقادات من بعض المؤرخين الذين يرون في أرقامها تزييفا و تضليلا. و من ذلك فهم يعتبرون أنه من الصعب وضع تقييم جدي لمختلف الحركات السكانية التي تمت ما بين 1921 إلى 1954.(5)

بالرغم من أن المسألة عويصة، إلا أنه علينا أن نهتم بالموضوع، لما له من أهمية في تاريخ الجزائر الفرنسية، باعتبار أن العامل الديمغرافي تمحورت حوله مسألة الاستيطان الفرنسي في الجزائر، و بالتالي هو الذي وجه التطور العام. هذا ما لم ينتبه إليه غالبية السياسيين المعاصرين الذين أهملوا، في معظم الأحيان عن قصد، الأحداث الديمغرافية.

ثانيا: واقع متناقض لمجتمعين في المنطقة الغربية

تمثل السياسة الاستعمارية في عمالة وهران صورة من أبشع الصور عن الانعكاسات الخطيرة على الصعيدين الاقتصادي و الاجتماعي، لما صاحبها من عمليات سلب للأراضي و فرض الضرائب الثقيلة على القبائل الجزائرية و إلزامها بدفعها. الأمر الذي سهل نجاح عملية توطين الآلاف من الأوروبيين الذين تدفقوا على المنطقة الغربية و استحوذوا على القسم الأكبر من الأراضي الجيدة. و ساعدتهم في ذلك إدارتهم الاستعمارية التي قامت بإصدار كوكبة من القوانين الردعية و التعسفية لتمكينهم من الاستيطان في هذه المناطق و للتغلب، عدديا، على السكان المسلمين برفع عدد الأوروبيين.

من هنا تظهر بوضوح فكرة "العدد" التي روج لها الاستعمار الفرنسي عندما حولها من مسألة دينية و أخلاقية إلى مسألة سياسية و اقتصادية.(6) لأن الكولون لا يمكن للإدارة الاستعمارية أن تجلبهم إلى الجزائر "المستعمرة" إلا بإغراءات مادية، و هي الأرض التي بإمكانهم استغلالها و إقامة عليها المستثمرات الفلاحية الكبرى. و لعل ما حدث في منطقة سيدي بلعباس، أين استولى الكولون على مساحات شاسعة بعد فشل مقاومة الأمير عبد القادر و معه قبائل "بني عامر"، لدليل قاطع على إقامة المستثمرات الفلاحية الكبرى.(7)

1- تزايد نمو الجزائريين يقلق الاستعمار

ظل عدد الجزائريين يتزايد مع مطلع القرن العشرين بعد أن اجتاز النكبة الديمغرافية التي لحقت به مع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر.(8) فارتفع العدد إلى 4.5 مليون نسمة مع مطلع القرن العشرين، ثم إلى أكثر من 6 ملايين نسمة سنة 1936، ليبلغ 7.6 مليون نسمة سنة 1948. و أرجعت بعض الدراسات هذا التزايد المستمر إلى جملة من العوامل منها، ارتفاع عدد الولادات و انخفاض عدد الوفيات و الزواج المبكر..خاصة عند "نوشي" و "سيرا"،(9) اللذان اعتبرها من العوامل الأساسية إلى جانب تحسن الظروف المعيشية. هذا و قد ذهب البعض الأخر إلى ربط هذه الدراسات بقيام الثورة التحريرية.(10)

أ- هاجس ارتفاع نسب الولادات

إذا اعتمدنا على الأرقام المقدمة لنا من خلال إحصاء سنة 1921، فإننا نلاحظ بأن المجتمع الجزائري لم يتضاعف إلا بـ 18000 نسمة سنويا، ما بين سنوات 1911 إلى 1921. ثم ارتفعت هذه الزيادة السنوية إلى 65000 نسمة ما بين 1921 إلى 1926. و وصلت إلى 99000 نسمة فيما بين 1926 إلى 1936. أما إحصاء 8 مارس 1936 فإنه أفرز على عدد سكان مرتفع في عمالة وهران، حيث وصل إلى 1.623.356 نسمة.(11) و قد بقي نفسه حسب أرقام أخرى قدمت من طرف المديرية العامة للضرائب سنة 1937.(12)

فالمقاربة الأولى لهذه العشرينات تعطينا فكرة واضحة حول سرعة النمو الذي حصل في المجتمع الجزائري، بل أكثر من ذلك، إذا تتبعنا معدل الزيادات السنوية إلى غاية سنة 1954 لكان الانطباع أقوى و هذا ما سنحاول توضيحه من خلال الجدول التالي (13)

جدول يمثل الزيادة السنوية لعدد سكان الجزائريين من 1921 إلى غاية 1954

الفترة الزمنية	الناتج السنوي في زيادة السكان
من 1921 إلى 1926	45000 نسمة
من 1926 إلى 1931	86000 نسمة
من 1931 إلى 1936	112000 نسمة
من 1936 إلى 1948	125000 نسمة

من 1948 إلى 1954	128000 نسمة

و هذا بطبيعة الحال دون حساب أعداد المهاجرين الجزائريين في فرنسا الذين لم يدرجوا في هذه العملية الحسابية.

في الواقع تحدث الباحثون الأوروبيون كثيرا عن هذه الظاهرة، خاصة لما نعلم الظروف الصعبة التي مر بها السكان الجزائريون بداية من منتصف القرن التاسع عشر. فهناك من يرجعه إلى ارتفاع نسبة الولادات و انخفاض نسبة الوفيات و تحسن الظروف الصحية و المعيشية و الزواج المبكر. غير أن هناك من الباحثين الجزائريين الذين يرجعونه إلى روح التحدي التي تحلى بها المجتمع الجزائري و حبه في البقاء.(14)

و قد قام الباحث الديمغرافي "برايل.ج" Breil.J بدراسة مفصلة في الموضوع استطاع أن يحدد من خلالها نسبة الولادات في الجزائر الشمالية حيث أوردها على النحو التالي: (15)

جدول يمثل نسبة الولادات عند الجزائريين في الجزائر الشمالية من 1921 إلى غاية 1950

الفترة الزمنية	نسبة الولادات عند الجزائريين
من 1921 إلى 1925	%38
من 1926 إلى 1930	%43
من 1931 إلى 1935	%44
من 1936 إلى 1940	%42
من 1941 إلى 1945	%44
من 1946 إلى 1950	%42

في الواقع، حسبت هذه النسب بعدما صححت بعض المعطيات الموجودة في الحالة المدنية لبعض البلديات الرائدة، أين وصلت إلى حد 47% خلال سنوات 1951، 1952، 1954. و يعتبر البعض أنه يصعب تفسير هذا التطور الملاحظ على هذه النسب.عموما، بقيت وتيرة النمو السكاني عند الجزائريين و الكولون نفسها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث ارتفع عدد المواليد الإجمالي عند الجزائريين إلى 193000 مولود سنة 1948، مقابل 10500 مولود لدى الأوروبيين.(16) هذا الواقع جعل نسبة الزيادة السكانية بين المجتمعين متفاوتة جدا، و مالت كفة الزيادة السكانية في هذه المرحلة لصالح الجزائريين بالرغم من صعوبة الظروف المعيشية و قسوتها، حيث ارتفعت نسبة نموهم السنوية إلى ثلاث مرات عما كانت عليه أو أكثر، مقارنة بالأوروبيين.(17)

و مع مطلع سنة 1946 ظلت وتيرة النمو السكاني عند الجزائريين مرتفعة بالمقارنة مع الأوروبيين.فبينما ارتفعت عند الجزائريين، في خلال سنة واحدة 1946-1947، من 307507 نسمة إلى 330801 مولود جديد. نجدها توقفت عند الأوروبيين، خلال نفس الفترة، ولم تشهد سوى ارتفاعا ضئيلا من 20936 نسمة إلى 21000 مولود جديد.

ب - مفارقات في نسب الوفيات

و بالموازاة مع نمو نسب الولادات، فإن نسب الوفيات في صفوف الجزائريين قد شهدت هي الأخرى نوع من التذبذب تأرجح بين الانخفاض و الارتفاع. فنجدها قد تراجعت بمعدلات 19.8% فيما بين 1921 إلى 1925، و 16.5% فيما بين 1936 إلى 1940. غير أن عدد وفيات الجزائريين شهد زيادة مفاجأة خلال فترة الحرب العالمية الثانية،حيث بلغ 111580 نسمة في سنة 1939، ليصل إلى 235225 نسمة في سنة 1945، سنة نهاية الحرب العالمية الثانية. و كانت الأرقام واضحة خاصة في الثلاثون بلدية الحضرية التي كانت تتم فيها عملية تسجيل الوفيات بطريقة منتظمة، فإن هذه النسب قد ارتفعت إلى 27.4% سنة 1947، و تراجعت إلى 17.5% سنة 1954.

و بفضل هذا النمو الديمغرافي السريع، مالت كفة الزيادة الطبيعية للسكان خلال فترة ما بين 1935 إلى 1945 لصالح الجزائريين حيث تم تسجيل 2014000 مولودا مقابل 1204000 حالة وفاة بزيادة قدرت بـ810000 نسمة. و في المقابل، قدرت عند السكان الأوروبيين بـ 144200 وضعية ميلاد أمام 98000 حالة وفاة، فوصلت إلى زيادة 46200 نسمة فقط.

و من الناحية الديمغرافية لم تكن سنة 1946 بمثابة العودة إلى الحالة الطبيعية، بل ظلت مخلفات الحرب واضحة حيث سجل خلال هذه الفترة ارتفاع في عدد الوفيات عند الجزائريين بلغ حوالي 226116 نسمة بالمقارنة مع عدد الوفيات عند الأوروبيين الذي وصل إلى 12735 نسمة.

أما على مستوى عمالة وهران، فإن المسلمين الجزائريين كانوا يشكلون أغلبية سكان العمالة قبل الحرب العالمية الثانية، أي 3.75%. ثم ارتفعت هذه النسبة إلى 79% نهاية 1948. و باستثناء دائرة وهران التي كان يتفوق فيها العنصر الأوروبي نسبيا، ففي بقية الدوائر الأخرى نلاحظ تفوقا واضحا لعدد المسلمين الجزائريين. و عموما، فقد تميز واقع المجتمع في عمالة وهران بتزايد ديمغرافي بعد نهاية الحرب وصل حد 2130000 نسمة سنة 1948، أي بزيادة سنوية قدرت بـ40000 نسمة.(20) و على المستوى الوطني نجد أن عدد المسلمين الجزائريين بالقطاع الوهراني يمثل النسبة القليلة من بين العمالات الثلاث في المرحلة الممتدة من سنة 1906 إلى 1954 و هو 18.4% إلى 20.9%.

ثالثا - الأوروبيون تركيبة سوسيو- إيثنية تبحث عن الوحدة الوهمية

إن المجتمع الأوروبي الذي استوطن في الجزائر، لم يشكل أبدا وحدة متجانسة، رغم أن الفكر الاستعماري ظل يروج لأسطورة "الشعب الجديد". ذلك أن هذا

المجتمع يحمل في طياته تناقضات مكوناته المختلفة التي حاولت الإدارة الفرنسية أن تجعل منها نموذجا في مستعمراتها، إلا أن ذلك لم يكن ممكنا لعدم توفر القاسم المشترك الذي يحدد هوية هاته العناصر الدخيلة، التي بحكم جنسياتها المختلفة شكلت تناقضا حيا داخل مجتمع ظل يبحث عن وحدة وهمية طوال فترة الوجود الفرنسي في الجزائر.

و الواقع، أن السكان الأوروبيين، إلى جانب تباين جنسياتهم، كانوا يتوزعون توزيعا غير عادل عبر مختلف مناطق البلاد. ففي الفترة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية لاحظنا في عمالة قسنطينة أوروبي واحد يقابله 17 جزائريا، و في عمالة الجزائر وجدنا أوروبي واحد يقابله 6 جزائريون، أما في عمالة وهران فإننا وجدنا أوروبيا واحدا يقابله 5 جزائريون. أما بعد نهاية الحرب، و بالتحديد في سنة 1948، ارتفع عددهم بعد تجنيس أعداد كبيرة من الأسبان إلى حوالي 35155 نسمة

غير أننا نجد في الدراسة التي قام بها "جان فران" Fran Jean سنة 1936،(20) أنه حاول تشخيص الأوضاع الخطيرة التي باتت تهدد السكان الأوروبيين في الريف الجزائري، فاستنتج من دراسته هذه، أن عدد السكان الأوروبيين في المدن ارتفع إلى أكثر من 67286، بينما انخفض في الريف بـ أقل من 11623، في الفترة الممتدة من 1931 إلى 1936. و في مقابل ذلك، ظل نمو السكان المسلمين يتزايد بوتيرة سريعة وصلت تسعة مرات عما كانت عليه الأوضاع في فرنسا، بالرغم من أن نسبة الوفيات عند الجزائريين كانت كبيرة. لقد ارتفع عدد السكان الأوروبيين من 791370 نسمة سنة 1921 إلى 946013 نسمة سنة 1936، مرورا بسنوات 1926 و 1931 التي شهدت هي الأخرى ارتفاعا نسبيا. غير أن نتائج العملية الإحصائية لسنوات 1931 و 1936 قد واجهت عدة انتقادات. و يذهب البعض من الباحثين إلى القول أن عدد الأوروبيين قد ضخم لاعتبارات مالية.

و في سنة 1948 لم يتم إحصاء سوى 922272 أوروبيا؛ أي عجز قدر بـ 23741 نسمة مقارنة بإحصاء سنة 1936. و تميزت منطقة الغرب الجزائري من الناحية البشرية بقوة تمركز الكولون فيها، إذ قدر عددهم سنة 1926 بـ 350841 نسمة. أي ما يعادل نسبة 42.2% من مجموع السكان الأوروبيين، بينما كان عددهم في عمالة الجزائر حوالي 307195 نسمة؛ بنسبة قدرت بـ 36.9%. و ارتفع هذا العدد إلى 399674 نسمة سنة 1936. و ظلت عمالة وهران تحتل المرتبة الأولى في عدد السكان الأوروبيين حتى نهاية الأربعينيات.

صاحب عملية استيطان الكولون في المنطقة الغربية من البلاد، البحث عن أهم المراكز و المناطق التي تتوفر فيها شروط الإقامة، فوقع اختيارهم على المدن الهامة، خاصة مدينة وهران التي استقطبت أكبر عدد من الأوروبيين الذين ارتفع عددهم لدرجة أنهم أصبحوا أكثرية على الجزائريين، حوالي 152603 أوروبي مقابل 48068 جزائري، أي بنسبة 38،18% من العدد الإجمالي للسكان الأوروبيين الموجودين في العمالة الغربية.

و قد انتشر الكولون كذلك في البلديات الكاملة الصلاحيات، بحيث أننا نجد أكثر من أربعين منها تحتضن أكثر من 1000 فرنسي،(21) زيادة على الأعداد التي كانت موجودة في البلديات المختلطة. و كان هؤلاء الكولون يسيرون أمور بلدياتهم وفق مصالحهم الخاصة.

و من ناحية أخرى، فقد سجل سكان الريف الأوروبيين تراجعا ملحوظا منذ الأزمة الاقتصادية الكبرى و ما صاحبها من انعكاسات سلبية على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية. و نتيجة لذلك هاجر حوالي 5300 من الكولون من أرياف القطاع الوهراني نحو المدن، و حدث ذلك في عشرية 1926 إلى 1936. هذا النزوح يعتبره البعض من الباحثين، ميزة من مميزات الأزمة الريفية التي حدثت في الجزائر.ولم يقتصر الوجود الأوروبي في المنطقة الغربية على العنصر الفرنسي فحسب، و إنما شمل أيضا وجود أفراد من الجالية الإسبانية و اليهودية معا، شكل وجودهما دفعا معنويا و بشريا للعملية الاستعمارية.

لقد انفردت عمالة وهران بوجود جالية إسبانية كبيرة استوطنت بكثرة في كل من وهران, و سيدي بلعباس، و ذلك لعدة اعتبارات منها، التاريخية و الجغرافية و المناخية. و قد شكل الأسبان الطبقة الكادحة عند الأوروبيين.غير أن أعدادهم بدأت تتراجع قبل اندلاع الحرب. و أكثر من ذلك، فإن انتشار العنصر الاسباني في مدينة سيدي بلعباس يعود أساسا إلى حياة البؤس و الحرمان و الفقر التي عاشها الأسبان في بلادهم.

أما فيما يخص التطور الديمغرافي للمجتمع اليهودي(22) فنجد أن أهم المصادر التي تعرضت إلى حركيته و تطوره طوال الفترة الاستعمارية، تتمثل في التقارير الرسمية للإدارة الاستعمارية بصورة خاصة، و في الأبحاث و الدراسات القليلة التي تركها "الحاخامات" بصورة عامة. منهم حاخام وهران "لآزار كوهن" Lazare Cohen الذي قدم تقريرا في الموضوع سنة 1850.و قد أشارت المصادر الأولية التي جمعها "شوارزفوش سيمون" Schwarz Fuchs Simon إلى وجود أعداد معتبرة من اليهود في القطاع الوهراني سنة 1851، وصلت إلى 5073 يهودي في مدينة وهران، و 2688 يهوديا في مدينة تلمسان، و شهدت مدينة مستغانم توطين 499 يهوديا، و في معسكر وجد 320 يهودي. و كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في المعابد Synagogues التي بنيت لهذا الغرض، فوجد 17 معبدا في مدينة وهران و 10 معابد بتلمسان و 3 منها في مستغانم.

و قد شجع الوضع الجديد للجزائر على هجرات كبيرة من مختلف المناطق نحوها، نذكر على سبيل المثال هجرة هامة ليهود تونس و المغرب الأقصى، منهم حوالي 600 إلى 800 مهاجر من المغرب الأقصى استقروا بمدينة وهران. و من بين أبرز العائلات اليهودية التي هاجرت من المغرب الأقصى نذكر عائلات: أزولاي Azoulay، سوسان Soussan، زميرو Zmirou، و ناهون Nahon. ثم جاء إحصاء سنة 1931، و بعده الأعمال التي قام بها "روبين" Ruppin سنة 1937. أما "تانتوان"

Tinthoin فقدر عددهم في المرحلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية بحوالي 40000 نسمة أي ما يقارب 10% من السكان الأوروبيين، و50% منهم استقروا بمدينة وهران وحدها. استطاع اليهود أن يندمجوا بعمق في الوسط الجزائري، و خاصة في جانبه الاقتصادي. و عبر "تانتوان" عن ذلك بقوله: "إن اليهود قد احتكروا تجارة الجملة دفعة واحدة، و منهم التجار الصغار، و الحرفيون الصغار، و الموظفون، و المحاسبون، و الخياطون، و قد احتلوا 90% من الأحياء اليهودية في المدن الكبرى مثل؛ وهران، تلمسان و معسكر. (23) أما في مدينة سيدي بلعباس، فقد وصل عدد الجالية اليهودية إلى 3159 نسمة منهم 2971 يهودي مجنسين فرنسيين، بينما بقي 168 يهودي أجنبي. و قطنوا وسط المدينة، في شوارع مونتانياك و كتينة، حيث كانت لهم معابدهم و حماماتهم و أفرانهم الخاصة.(24)

و في الأخير، جاء إحصاء سنة 1941 الذي قامت به حكومة "فيشي". و الذي تزامن مع إلغاء مرسوم "كريميو"، فقد أفرز عن وجود نوعين من اليهود، فئة أولى مجنسة منذ 1870، و فئة ثانية بقيت تعتبر أجنبية. و الجدول التالي يبين لنا التواجد اليهودي بالتفصيل في المنطقة الغربية: (25)

جدول يمثل التواجد اليهودي بالمنطقة الغربية حسب إحصاء سنة 1941

دوائر الغرب الجزائري	يهود فرنسيين	يهود غير مجنسين	المجموع العام
وهران	26798	2714	**29512**
معسكر	3189	175	**3364**
مستغانم	2868	63	**2931**
بلعباس	2971	168	**3159**
تلمسان	7934	259	**8193**
تيارت	3197	75	**3254**
المجموع	46939	3474	**50413**

و عندما تم إحصاء سنة 1948 قدر مجموع السكان في الجزائر بـ 8676000 نسمة، منهم الأوروبيون و الأجانب،الذين قارب عددهم 999000 نسمة، أي نسبة 11.51% من مجموع السكان. و قدر عددهم في البلديات المختلطة بـ 38200 نسمة، مقابل 4215000 من الجزائريين، أي نسبة ضئيلة جدا قدرت بـ 0.9%.

هذه الأرقام(26) تعطينا صورة واضحة عن تزايد عدد الجزائريين في القرى و المدن، حيث عرفت هذه الأخيرة نزوحا متزايدا نحوها، و خاصة منها مدينة وهران التي وصلت بها الزيادة السكانية في سنة 1948 إلى 167% مقارنة بسنة 1936. من هنا، نجد أن أكبر الجاليات الأجنبية قد تركزت بها، منها الجالية الإسبانية و اليهودية

التي وصلت إلى 27000 نسمة و بعد الحرب زاد الاستيطان الأوروبي داخل المدن ، حيث شهدت سنة 1948 مغادرة واسعة للريف من طرف الكولون الذين بلغ عدد الوافدين منهم نحو المدن 41400 نسمة.

و في هذه المرحلة عرفت المنطقة الغربية استيطانا واسعا و متزايدا مقارنة بالمناطق الجزائرية الأخرى، بلغ ذروته خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. فعرفت مدن المنطقة الغربية توسعا عمرانيا كبيرا، فانتشرت الأحياء الشعبية العربية بها، و في المقابل استقطب التل الغربي حوالي 75% من أوروبيي الجزائر، خاصة في نواحي وهران و حول هضبة تلمسان و سهول سيدي بلعباس و مستغانم.. التي بلغ مجموع السكان الأوروبيين بها 34% من مجموع الأجانب الموجودين في الجزائر.(27)

الهوامش و الإحالات

1- Serra Jean, Le problème démographique algérien, In « La lutte des Algériens contre la faim », ouvrage collectif, éditions du secrétariat social d'Alger, Mai 1954, pp 155-174.

2- Nouschi André, L'Algérie amère 1914-1994, éditions Plon, Paris, 1995, pp 127-142.

3- ولد النبية كريم، الجزائريون و الإدارة الاستعمارية في عمالة وهران..، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2008، ص 369.

4- Yacono Xavier, Histoire de l'Algérie de la fin de la régence à…, p 344.

5- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine 1871-1954, T2, PUF, Paris, 1979, p 469.

6- ولد النبية كريم، مرجع سابق..، ص 368.

7- Bastide Léon, Histoire de Bel Abbes, imprimerie Perrier, Oran, 1880, p 62.

8- Kaddache Mahfoud et Sari Djilali, L'Algérie dans l'histoire, OPU, Alger, 1989, pp 201-208.

9- هذه الدراسة قام بها باحثون فرنسيون نذكر منهم:

- Nouschi André, L'Algérie amère 1914-1994,op.cit…
- Serra Jean, Le problème démographique algérien.., op.cit…

10- من بين الذين اعتبروا النمو الديمغرافي عند الجزائريين سبب من أسباب اندلاع الثورة التحريرية نذكر كل من:

- Aron Robert, La tragédie Algérienne, Paris, 1957, p 166.
- Blanchart Jean, Le problème Algérien, Paris, 1955, p 54.

11- للنظر و التدقيق في هذه الأرقام المقدمة في الدراسة موضوع البحث، أنظر كل من:

- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, Op.cit.
- Annuaire statistiques de l'Algérie 1939-1947, p 22.
- Le Journal officiel de l'Algérie du 30 octobre 1936.

12- A.S.A/ Direction générale des finances, service des statistiques générale, années 1936-1948.

13- Ce tableau a été conçu à partir de données réunies dans le chapitre I du livre 3 relatifs à l'évolution démographique des populations musulmanes d'Algérie de 1919 à 1954. Voir :

- Ageron.., Histoire de l'Algérie contemporaine.., T2, op.cit, p 471.

14- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة بن عيسى حنفي،م.و.ك، الجزائر، 1983، ص 21.

15- هذا الجدول وضع انطلاقا من المعطيات التي أوردها "شارل روبير أجرون"، و التي تخص المناطق الشمالية كما قدمها "برايل". أنظر:

- Ageron.., Histoire de l'Algérie contemp.., op.cit, p 471.

16- Serra (Jean), « Le problème démographique Algérien », dans : « La lutte des Algériens… », op.cit, p 157.

17- Tinthoin (Robert),Le sahel d'Oran 1885-1955, Imprimerie nationale, Paris, 1960, p 136.

18- Nouschi André, L'Algérie amère.., op.cit.., p 101.

19- A.W.O, Brochure : Etude du développement économique de l'ouest Algérien, p 95.

20- Fran Jean, « La population de l'Algérie en 1936 », In revue Nord-africaine, 4éme année du 15 janvier 1938, pp 05-17.

21- Tinthoin (Robert, .., L'Oranie sa géographie, son histoire, ses centres vitaux, librairie Fouque, Oran, 1952, p 15.

22- سعد الله فوزي، يهود الجزائر موعد الرحيل، الجزء الثاني، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2005،ص ص 107-115.

23- - Tinthoin (Robert, .., L'Oranie sa géographie, son histoire.., op.cit.., pp 14-15.

24- بوهند (خالد)، الوضع الثقافي و تكون النخبة بمنطقة سيدي بلعباس خلال الاحتلال الفرنسي 1900-1954، مذكرة ماجستير، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، 2004-2005، ص 142.

25- سعد الله (فوزي)، يهود الجزائر موعد الرحيل، مرجع سابق،ص ص 115.

26- هذه الأرقام قدمت في دراسات تاريخية هامة من طرف مجموعة من الباحثين الفرنسيين الذين حاولوا تبرير هذا التواجد الكثيف للعنصر الأوروبي المختلط على أرض الجزائر. أنظر كل من:

- Larnaude (Marcel), op.cit, p 63.

- Boyer (Pierre), op.cit, p 32.

- Bordas (Janine), Le peuplement Algérien essai démographique, Imprimerie Fouque, 1958, p 17.

27- بلوفة جيلالي عبد القادر، نشاط حزب الشعب الجزائري-حركة انتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران 1939-1951، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2001.